ثم شهق شهقة عظيمة فحركته فاذا هو ميت ورقة قالوا أوحى الله
إلى عيسى بن مريم أن لي أمة ترافقك في الجنة ودل عليها فاذا بامرأة عمياء
مشلولة الأطراف فعجب منها وسألها فقالت لو كان لي يدان ربما جمعت بهما
الحرام فشهرتا علي أو رجلان ربما مشيت بهما في معصية أو عينان ربما
أبصرت بهما زخارف الدنيا وحوسبت لأجلهما قال فما حاجتك قالت المغفرة
وليست لك لكن لي ابن يتولى وضوئي وصلاتي أسأل الله أن يعطيه أجره
قال فلما انفصل لقي شبابا يبكون وقالوا كان لهذه المرأة المسكينة ابن واحد
يخدمها فأكله الذيب فقالت الحمد لله الذي رفع عني مؤونة مواراته مع
ضعفي عن ذلك فقال حق لك أن تكوني رفيقتي في الجنة فقالت من أين لك
هذا فأخبرها عن الله فشهقت شهقة عظيمة وخرت ميتة فواراها
التراب وانصرف قال ابن السماك أتيت الربيع بالبصرة ليدلني على العباد
فدق باب عجوز وقال ما فعل ابنك قالت نسي الدنيا فاستأذن عليه
فقالت بشرط أن لا تذكروا القيمة فدخلنا على شاب عليه مدرعة شعر
وبعنقه سلسلة مشدودة لسارية في البيت وهو قاعد على شفير قبر قد حفره
فقال ما أنت قائل يا ابن السماك فقلت يا أخي للعباد مقامات يوم القيمة قال
عند من قلت عند ملك الملوك فشهق شهقة خر لها ميتا فلم نبرح حتى
واريناه قال وفي الليلة رأيته يتبختر بين يدي العرش ويقول خروج الروح
في المجاهدة توجب التبختر على بساط المشاهدة ورقة كان الحبشي
يقول لبعض المريدين لو رأيت أبا يزيد لأنهج لك الطريق فيقول له
رأيت الله فأغناني عن رؤية أبي يزيد فقال لو رأيت أبا يزيد لكان
أنفع لك لأنك رأيت الله عندك من حيث أنت وإذا رأيت أبا يزيد
رأيته من حيث هو فأجابه ومضى إلى بسطام فلما خرج أبو يزيد قال
له هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر المريد إليه فصعق ووقع فحركه فاذا
هو ميت قال فتعاون هو وأبو يزيد على دفنه وقال لأبي يزيد نظره
إليك قتله فقال لا ولكنه كان صادقا وكان استكن في قلبه سر لم
ينكشف بالوصف فلما رآني انكشف سر قلبه فهاج شوقه فضاق عن حمله
ذرعه إذ كان في ضعف مقام الإرادة أحن إذا رأيت حماك سعدي
وإني إن سمعت لها أنينا ورقة قال ذو النون المصري
عطشت في بعض سياحاتي فاذا شيخ قائم يصلي فسلمت فلما فرغ قال
وعليك السلام يا ذا النون فقلت من أين عرفت اسمي قال أطلع شعاع أسرار
المعرفة من قلبي على ضياء أنوار المحبة من قلبك فعرفت روحي روحك
بحقايق الأسرار قلت أراك وحيدا قال الأنس بغير الله وحشة والتوكل على
غيره ذل ثم ذكر ما في نفسي من العطش ودلني على ماء قريب فمضيت وشربت

وعدت وهو يبكي

وعدت وهو يبكي بشهيق وأنين فقلت وما يبكيك فقال إن لله عبادا أسقاهم بكاس
محبته شربة أذهبت عنهم ألفة الكرى قلت دلني على أهل الولاية فقال هم الذين
أخلصوا في الخدمة فاستخلصوا في الولاية وراقبوا مولاهم ففتح لهم بنور
القلوب قلت وما علامة المحبة فقال المحب لله غريق في بحر الحزن إلى قرار
التحير قلت فما علامة المعرفة فقال العارف لم يطلب في معرفته جنة ولا
نارا ولم يعظم سواه معه قال ثم شهق شهقة عظيمة وخرجت روحه
فواريناه في الموضع وانصرفت

انظر وإن كان حتفي منك في النظر ... تنظر إلى شبح يخفى عن النظر
ما عرس الوجد في ربع للوعته ... إلا رأيت به دمعي على الأثر
إني لأخفي اشتياقي وهو مشتهر ... من أين يخفى ودمعي صاحب الخبر

قال علي بن يحيى صحبت شيخا من أهل عسقلان كامل الأدب متهجد الليل
وكنت أسمع أكثر دعائه الاستغفار والاعتذار ودخل بعض كهوف جبل لكام
ورأيت العباد يهرولون إليه فلما أصبح يريد الخروج قال له أحدهم عظني
قال له عليك بالاعتذار فانه إن قبل عذرك وفزت بالمغفرة سلك بك إلى المقامات
فوجدت أمانيك ثم بكى وشهق وخرج فلم يلبث أن مات فرأيته في النوم فقلت
ما فعل الله بك فقال الله أكرم من أن يعتذر إليه مذنب فيخيب ظنه ولا يقبل
عذره إن الله غفر لي وشفعني في أهل لكام ورقة يروى أن صوفيا
سمع القارئ في الحرم يقرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا فشهق شهقة عظيمة وقال
يا أصحاب الدعاوي أين المعاني هذه أخبارهم ما أطيبها هذه آثارهم
ما أصعبها ثم وقع مغشيا عليه فلم يرفع من موضعه إلا ميتا وكان
بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال والله لا
أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني فاني عرفت تسترك فسجد وجعل يقول سترك سترك
ومات قال بعض السلف رأيت شابا في سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه
تنحدر قلت من أين قال آبق من مولاه قلت يعود ويعتذر قال العذر يحتاج
إلى حجة ولا حجة للمفرط قلت يتعلق بشفيع قال الشفعاء يخافون منه قلت
ومن هو قال مولى رباني صغيرا فعصيته كبيرا فوا حيائي من حسن صنعه
وقبح فعلي ثم صاح صيحة وخر ميتا فخرجت عجوز فقالت من أعان على البائس
الحيران فقلت أقيم عندك أعينك فقالت خله ذليلا بين يدي قاتله عساه
يراه بعين رحمته ورقة قال فرقد دخل بيت المقدس خمسماية عذراء
لباسهن الصوف والمسوح فذكرن عقاب الله وثوابه فمتن جميعا قال
الشاعر أحبوا فؤادي ولكنهم ... على محبة البين ماتوا جميعا
وقال أبو طارق شهدت ثلاثين رجلا ماتوا في مجلس الذكر يجيئون